

هدية من أمي !

الطالبة :نادرة سامر ملص

كلّ منا لديه موهبة منحها الله إياها منذ أن خلقه .ولا شك أن ممارسة الموهبة هي الطريق الأمثل لتطور هذه الموهبة وتزداد في العطاء .

أحببتُ القراءة وكتابة الشعر منذ أن كنت طفلة صغيرة ... وكنت كلما اقرأ كتاباً أجد في كل صفحة من صفحاته دليلاً وطريقاً ينير لي دروباً أخرى أعبر بها مواقف الحياة!! .
ومن الجميل أن ينمي الإنسان موهبته وهوايته بمجهود شخصي ... ولكن الأجل منه أن يجد من يمد له يد العطاء ... يدفعه في موهبته .. ويحفز طاقاته .. فيزداد خيراً على خير .
وهذا ما حدث معي حين دخلت أمي إلى غرفتي ذات يوم لتهديني كتاباً أقرأه .. فتنمي موهبتي وأستفيد من هذا الكتاب !

فما أعظم الأم حين تفرع باب قلب ابنتها بشيء تحبه وتميل إليه ؟ ...وفي نفس الوقت تعطيها ما تستفيد منه ...!!
وما أذكى الأم فعلاً عندما تهدي ابنتها كتاباً يناسب عمرها .. ويساعدها في مواجهة الحياة ؟

وهذا فعلاً ما حدث معي ... فلقد أهدتني أمي كتاباً أثر في نفسي بمجرد أن قرأت اسمه وعنوانه : (أسعد نفسك وأسعد الآخرين) للدكتور حسان شمسي باشا ... فما أجمل أن تسعد نفسك ؟ وما أروع وأمتع أن تسعد الآخرين ؟

ولا أخفي عليكم ، فلقد أثر هذا الكتاب في نفسي الشيء الكثير ... رغم أنني لم أكن أعلم وقتها مدى أهميته في حياتي ... ولكنني تعلمت منه معنى السعادة وقواعدها... ومع من تستطيع أن تسعد ؟ وكيف تسعد ؟ وكيف تسعد الآخرين ؟

ما هي الطرق الموصلة للسعادة ؟ وهل السعادة في الدنيا فقط أم نستطيع أن نجعلها في الدارين ؟

أثر هذا الكتاب في نفسي كثيرا ... فأصبحت كلما يئسْتُ ذقت منه طعم الأمل ...
وكلما حزنْتُ شعرت أكثر بمعنى الفرح ... وكلما ضاقت بي الدنيا عرفت أن سعادتي في
اللجوء إلى ربي .

وكلما حصل لي موقف تعلمت كيف أجتازه بروح رضية سعيدة ... أسعد بمواقف حياتي
وأُسعد بها من حولي.

وإذا مرت بي أوقات أليمة أو حزينة كيف أحوّلها بمعان وأفكار بسيطة إلى أوقات سعيدة
ممتعة .

تعلمت منه أيضا كيف أن سعادة قلب الإنسان .. وسعادة فكره وروحه في إسعاد نفسه أولاً
... ثم في إسعاد الآخرين ممن حوله.. من قريب أو بعيد !!

ورغم صغر حجم هذا الكتاب .. وأن مؤلفه طيب مرموق مختص في علاج أمراض القلب
... إلا أن كلماته لا تقل تأثيرا في علاج النفوس والقلوب العليلّة أيضا .. !!

فقد أحدث في نفسي أثراً لا أنساه مدى الحياة ! وكثير من جمل هذا الكتاب ظلت في
ذاكرتي .. تداعبني وتسعدني كلما طلّت علي من حين لحين !! وكثير من آيات الله سبحانه
وتعالى عرفت معناها بشكل أكبر من خلال هذا الكتاب !.

لا تعجبوا فلقد شعرت بحكمة الله سبحانه وتعالى في أشياء كثيرة .. كحكيمته سبحانه في
خلقنا.. وأنا لم نخلق إلا لنكون سعداء .. فقد قال سبحانه وتعالى : (طه . ما أنزلنا عليك
القران لتشقى) وأن الله سبحانه وتعالى يجعل الأشقياء أهلا للنار .. فيقول سبحانه : (فأما
الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) . كما أنه يجعل الجنة للسعداء فيقول جل في
علاه : (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض) .

ومن أكثر العبارات التي أثرت في نفسي عندما أقرأ هذا الكتاب تلك التي تقول : "من كان
شقيا في حياته فلا يلم أحداً.. إذ هو السبب في شقاء نفسه .. لأن الله لم يخلق الناس إلا
ليكونوا سعداء... فالخير من عند الله أما الشر فهو من نفوسنا .. والحق أن طباعنا-
وليس حالتنا أو ظروفنا - هي التي تجعلنا سعداء ... أو أشقياء ... وهل في الدنيا خير محض
... أم شر محض ؟! ... وهل كان البؤس محتتماً بالسئين إلا لتصلح لبدء السعادة ؟! وهل
توسط الميم الأمل .. إلا لتكون نهاية الألم ؟! . هكذا نظام الحياة ودستور الكون

فلا تعرف الأشياء إلا بضدها ... فلولا الشقاء ما كانت السعادة .. ولولا الليل ما كان النهار .. ولولا الظلمة ما كان للنور بهاء "

فهذه العبارات وأمثالها ظلت في ذاكرتي .. فكنت كلما حزنت عرفت للسعادة طعماً أكبر ... وكلما يئست عرفت أن للأمل طريقاً أوسع !.

وتعلمت أيضاً أن السعادة هي الرضا بالحال .. وهذه من أهم شروط ومعاني السعادة. يقول الدكتور حسان شمسي باشا : "فالسعيد هو من يعرف كيف يرضى بحاله .. فليست السعادة هي الثروة ... ولا الاستمتاع بها ... وليست هي الجاه ولا آثاره .. وليست هي الحب ولا لذاته ... وليست هي العلم ولا نوره ولا منافعه ... وليست هي الجهل ولا جموده ولا مصائبه ... وليست هي الجمال ولا شفاعته. ليست السعادة شيئاً من ذلك ولا هي كل ذلك ... بل السعادة هي ظن السعيد أنه سعيد ... وهناك لحظات سعادة لا ينكرها أحد .. وهذه اللحظات هي التي لا بد أن نتذكرها دوماً لنعيش سعداء .. ونحمد الله كثيراً عليها كتلك التي يشعر بها العابد الخاشع بين يدي ربه والعالم في فجر اكتشاف جديد .. والطالب حين يصل إلى هدفه .. والطبيب حين يشفى مريضه .. والعامل حين ينجز عمله ... والمرأة حين تسمع مناغاة وليدها الجميل ... ورب الأسرة وسط أبناءه الباسمين المفعمين بالصحة" .

وتيقنت من خلال قراءتي العديدة لهذا الكتاب أننا نعيش وسط جو مليء بنعم الله علينا .. ولكن لا بد لنا من أن ندرك تلك النعم .. ونحمد الله عليها ونشكره .. فكم منا من لا يدرك فضل الله عليه إلا عندما يحرم إحدى تلك النعم ؟

وجدت في هذا الكتاب إجابات كثيرة على أسئلة كانت دوماً تراود ذهني .. فهل السعادة في الهروب من الواقع؟ وهل السعادة في الغنى ورخاء العيش ؟

عرفت مدى ترابط السعادة بالمزاج والشخصية .. وتعلمت أن السعادة هي من صنع أفكارنا .. وأنها فن الاستمتاع بما أملك .. وأن أعرف ماذا أريد !.

عرفت أن الثقة في النفس هي طريق للسعادة .. وأن السعادة تتلخص في معانٍ كثيرة أطبقها في حاضري .. وسأحاول _ بإذن الله _ تطبيقها في مستقبلي ..

عرفت أن السعادة في الوسطية وسكينة النفس والرضا والقناعة والورع والعمل الصالح ومراقبة الله وفي كبح الهوى والإخلاص.

السعادة نستطيع أن نجدها في الصدق والحياء والحلم والتواضع . وعرفت معنى السعادة في الاقتصاد والعدل والتوبة إلى الله والصبر على المصائب .

وتعلمت أن من أهم طرق السعادة ..إسعاد الآخرين ، وأن من أسرع رسل السعادة إلى نفوس الآخرين هي الابتسامة الصادقة النابعة من القلب وأنها تحقق عدوى الفرح للآخرين. أما الابتسامة الكاذبة فتضلّ طريقها إلى الآخرين ..وهي صورة سافرة من صور النفاق!!.

ولقد جسّد لنا رسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم صورة من صور السعادة في قوله عليه الصلاة والسلام (من سرّه أن ييسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه) .

ومن هنا تعلمت أن السعادة هي في إسعاد الأقرباء .. وقضاء حوائج الناس . وتعلمت أيضا معنى التشاؤم والاكتئاب وأنواعه .. وكيفية علاجه والتخلص منه .. وبعض القصص والحكم المذكورة عنه . ومن هذه الحكم ما قاله الدكتور فرانك لويخ العالم النفسي الألماني : " مهما بلغ شعورك بوحدة نفسك فاعلم أنك لست بمفردك .. فإذا كنتَ على جانب الطريق فسير وأنت على يقين بأن الله معك " !.

ومن أهم ما جعل هذا الكتاب يؤثر في نفسي بشكل كبير آية ذكرت في نهاية الكتاب .. تساعد أي شخص حزين وتخرجه من طور الحزن ومرحلة الاكتئاب التي يمر بها .. ألا وهي قول الله تعالى:(لا تحزن إن الله معنا) . فمن كان قلبه مع الله دوما كان الله معه دوما فلا يحزن ولا يعرف للتشاؤم طريقا.

إن هذا الكتاب من أهم الأشياء التي أثّرت في حياتي . وإني لفي بعض الأوقات أتخذه - من بعد كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم _ نبراسا لحياتي ومرجعا لها.

فشكرا لك ياأمامه على إهدائك لي هذا الكتاب .. فكم تعلمت منه وكم استفدت؟! وجزاك الله عني كل خير .

أسأل الله سبحانه أن يجعلنا سعداء دوما وأبداً .. وأن يجعلنا مؤمنين به .. مطبقين لسنة نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .. وأن يحقق لنا السعادة في الدارين .. فهل بعد هذا الرجاء رجاء؟!.

